# الفصل الثالث: مراحل الفقه الإسلامي

## المرحلة الأولـــــــى: من عصر النبوة إلى عصر الخلفاء الراشدين

تعتبر هـــذه المرحلة من أهم المراحل لأن التشريع الإلهي تم في هـــذا العصر، وكان مصدر الفقه فيه من الوحي و تنقسم هـــذه المرحلة إلى:

- **التشريع في العهد المكي و خصائصه:** دام ما يقارب 13 سنة من بعثته صل الله عليه وسلم إلى هجرته و قد تميزت بأحكـــــــــام العقيدة و الأخلاق
- **التشريع في العهد المدني و خصائصه:** هجرته صل الله عليه و سلم و أصحابه إلى مكة بعدما تهيأت الظروف لإنشاء أول دولة إسلامية عاصمتها المدينة المنورة، وظهرت الحاجة إلى التشريعات العملية التي تقام عليها أمور المجتمع الإسلامي الجديد (فشرعت أحكام الجهاد والبيع والشراع والاسرة والميراث والعقوبات وأنواع المعاملات...) ولم يترك التشريع الإلهي في هـــذه المرحلة أي جانب من جوانب الحياة إلا وقد تناوله بتنظيم دقيق وقد كان التشريع في هـــذه المرحلة على طريقتين:
  - إما أن تقع حادثة أو نازلة تقتضي حكم الشارع فيسأل النبي صل الله عليه و سلم عن حكمها. فينتظر نزول الوحي بحكم تلك النازلة فتنزل الآيات مبينة الحكم أو الجواب.
  - نزول أحكام غير مسبوقة بسؤال و لا حادثة معينة.

ومما تميز به التشريع في هـــذه المرحلة :

1. التدرج في التشريع: لم تنزل أحكام القرآن دفعة واحدة.
2. رفع الحرج: الشارع الحكيم لا يريد بعباده غلا التيسير والتخفيف.
3. النسخ: لرعاية المصلحة ورفع الحرج والضيق عن المكلفين.

وهكذا فإن هـــذه المرحلة تميزت بكونها مرحلة نص وتشريع بامتياز تم فيها تأسيس وبناء مصادر الفقه ونظرياته العامة ووضع الركائز لنشأة وتطور هـــذا العلم.

## المرحلة الثـــــــانية: عصر الخلفاء الراشدين

تميزت هـــذه المرحلة بنمو واتساع الفقه فيه، ذلك أن الفقهاء واجهوا بعد وفاة النبي صل الله عليه و سلم أحداثا ووقائع لم تكن على عهده فكان لابد من معرفة حكم الله فيه. و كذلك الحروب التي وقعت بين المسلمين والفتوحات الإسلامية أدت إلى كثرة المسائل الفقهية من هـــذه المسائل هناك:

- ✓ **طريقة الفقهاء الصحابة في التعرف على الأحكام الشرعية:** كان الصحابة والفقهاء إذا نزلت بهم نازلة التمسوا لها الحكم في الكتاب فإن لم يجدوه فيه تحولوا إلى السنة فإن لم يجدوا فيها اجتهدوا واستعملوا رأيهم وهذا هوالمنهج السليم وهذا الاجتهاد كان يقوم على أساس النظر إلى علل الأحكام ومراعاة المصلحة ومن هنا ظهرت مدرستان فقهيتان : مدرســـــــــــة أهل الحديث و مدرســـــــــــة أهل الرأي.

وانقسم الفقهاء إلى فريقين: فريق يتهيب من الرأي ولا يلجأ إليه إلا قليلا وكان أكثرهم في الحجاز (رئيس مدرستهم الإمام سعيد بن المسيب ت 94 هـ). و فريق لا يتهيب من الرأي بل يلجأ إليه كلما وجد ضرورة لذلك وكان أكثرهم بالكوفة (رئيس مدرسة ابراهيم بن يزيد النخعي ت96 هـ والعراق).

في هــذه المرحلة لم يُدون شيء من الفقه والحديث وظلت السنة محفوظة في الصدور باستثناء جمع القرآن في مصحف واحد.

## المرحلة الثالثـــــــة: عصر التابعين و المجتهدين:

تمتد هــذه المرحلة من أوائل القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الرابع الهجري، وفي هــذا العصر نما الفقه وازدهر وكثرت مسائله.

**أسباب نمو الفقه:**

- عناية الخلفاء العباسيين بالفقه والفقهاء. (بتقريبهم إليهم والرجوع إلى آرائهم)
- إتساع دائرة الأمة الإسلامية
- ظهور المجتهدين الكبار دوي الملكة الفقهية الراسخة
- تدوين السنة النبوية يسر العملية على الفقهاء ووفر الجهد عليهم بالرجوع إلى نصوصها وثم في هــذه المرحلة تدوين الفقه وضبط قواعده وجمع شتاته وتأليف الكتب في مسائله.

## المرحلة الرابعـــــة: مرحلة الجمود و التقليد

تبدأ هــذه المرحلة من منتصف القرن الرابع إلى سقوط بغداد سنة 656هـــ و هو دور ركود الفقه وجموده وهنا جنح الفقهاء إلى التقليد وإتباع من سبقهم من الفقهاء وهذا راجع إلى مجموعة من الأسباب.

**أسباب ضعف وتقهقر الفقه في هذه المرحلة:**

1. ضعف السلطان السياسي للخلفاء العباسيين (الدولة لم تعد كما كانت)

2. الاستغناء عن البحث و الاستنباط بسبب الإعتماد على التدوين الكامل المنظم للمذاهب الإسلامية

3. ضعف الثقة بالنفس و التهيب من الإجتهاد والإستنباط (اتهم الفقهاء أنفسهم بالضعف والعجز والتقصير).

وفي هـــذه المرحلة نادى بعض الفقهاء بسد باب الاجتهاد خوفا من الفوضى و إفساد أحكام الشريعة رغم ذلك قام الفقهاء بأعمال جليلة ونافعة منها:

1. تعليل الأحكام المنقولة عن أئمتهم.
2. استخراج العلماء قواعد الاستنباط من فروع المذهب (للتعرف على طرق الاجتهاد التي سلكها كل إمام).
3. الترجيح بين الأقوال المنقولة عن الإمام.
4. تنظيم فقه كل مذهب (بضبط أحكامه وإيضاح مجملها و شرح بعضها و التعليق عليها).

## المرحلة الخامســـــة: الفقه في العصر الحديث

تبدأ هـــذه المرحلة من تاريخ سقوط بغداد إلى اليوم وقد اتسمت هـــذه المرحلة بالتقليد ورغم ذلك فقد التزم كل فريق من الفقهاء بمذهب معين وعكف على مسائله وأحكامه وأصوله وصارت الشريعة تُعرف من خلال مذهب معين ، وتميزت هـــذه المرحلة كذلك بتقنين الفقه وإضفاء الطابع القانوني عليه.

### النهضة الفقهية في العصر الحديث:

ظهرت في الوقت الحالي نهضة فقهية حديثة من مظاهرها الاهتمام بالفقه الإسلامي في أواسط التعليم الجامعي و خاصة الدراسة المقارنة، وهي مفيدة لأنه تظهر من خلالها مزايا الفقه الإسلامي وخصائصه المتميزة الفريدة.